

3

# قصص المبشرون بالجنة

رجل نسلني  
منه الملايكة

سلوى العناني

دار اللطائف

## رجل تستحي منه الملائكة

• (عثمانُ بنُ عفان)

لا شك أن عيسى (أبي بكر) كانت تغرورقن بالدمع لحظة وضع يده في بين رسول الله معلنا إسلامه وإيمانه .. ولا بد أن قلبه كان ينتفض بين ضلوعه لحظة عانقه النهى ودعا له ..

ولا بد أن عقل أبي بكر كان يعمل في سرعة فائقة ساعة غادر بيت النبي بعد أن شهد «أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» فقد كان يعرف أن مهمته لم تنته عند هذا .. لكنها بدأت ..

نعم .. إن مسئولية كبيرة وفعت الآن على عاتق (أبي بكر) فقد أصبح شريكا في مهمة نشر الدعوة ..

لا بد أن أبا بكر انفرده بنفسه ساعة أو بعض ساعة يستعرض أسماء هذه المجموعة من أصدقائه .. كان هؤلاء الأصدقاء من الأشراف والأثرياء والوجهاء وصفوة المجتمع

القرشي .. ولم يتردد (أبو بكر) كثيراً وأتاه إليهم ..

وكان كلما جلس إلى أحدهم وحديثه عن محمد رأى منه نبؤاً وموافقة .. فهم جميعاً يعرفون من هو (محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب) يعرفون أمانته وصدقه وثقته وطهره .. وإلى بيت النبي ترجه هؤلاء وأحبوا بعد الآخر ... فمن هم هؤلاء الصقوة ؟

إنهم (عبد الرحمن بن عوف) و (طلحة بن عبيد الله) و (عثمان بن عفان) و (الزبير بن العوام) و (أبو عبيدة بن الجراح) .. ويسجل التاريخ هذه الأسماء الخمسة كأول من أسلم من الرجال بعد أبي بكر بن قحافة (الصديق) .

تقدم عثمان بن عفان من النبي ونطق بين يديه بالشهادة وعامله على المؤازرة والتأييد .

لكن كيف يقدم رجل مثل (عثمان) على هذا وهو التاجر الثري الواسع الثراء الذي اعتقه رغبة العيش ولين الفراش وجيد الطعام .. كيف يقدم على أمر يعلم أنه يؤثر على تجارته وثروته ، كما يعلم كيف سيكون صداه بين

أشراف قريش وزعمائها ؟ ..

لقد آمن الرجل ..

نعم - آمن عثمان بأن ما جاء به (محمد) هو الحق والخير  
واقترح بأن ما يؤمن به أهل فنى قريش وغيرها إنما هو  
الباطل والزيف .. لقد ملأ النور قلبه وأضله له طريق  
الحق ..

فهل تصمت قريش على ما فعل (عثمان) ؟ هل تركه  
بصياً<sup>(1)</sup> ويترك دين آبائه وأجداده ؟

ما هو ذا (الحكم بن أبى العاص) يوشن ابن أخيه  
(عثمان ابن عفان) بالسلاسل ويصرخ فى وجهه :-

- أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث ؟ والله لا أحل  
ونقلك أبداً حتى تدخ ما أنت عليه من هذا الدين .

فجيبه (عثمان) وقد منحه إيمانه قوة تفوق أى قوة يهدد  
بها عمه :

- والله لا أدع دين الله أبداً .. ولا أفارقه .

(1) صبي صغير لم يبلغ سن التكليف

ومحاصره الناس ويقاطعون تجارتهم آمليين أن يرد هذا من  
الدين الذي آمن به .. لكن هيهات .. فقد كان تمسكه بدينه  
يفوق حرصه على حياته .

تبارى كفار قريش من تعذيب المسلمين الأوائل .. فرأى  
رسول الله أن يهاجر بعض هؤلاء إلى الحبشة فراراً بدينهم ..  
وكان (عثمان بن عفان) وزوجته السيدة (رقية) ابنة النسي  
محمد من بين من هاجروا في هذه الهجرة الأولى .

لم يكن سهلاً على نفس رسول الله أن يفارقه أحبائه من  
المسلمين الأوائل الذين أيدهم وأزروهم منذ اللحظة الأولى .  
فوقف يودع ابنته (رقية) وزوجتها (عثمان) وهو يقول :  
"إنهما لأول من هاجر إلى الله بعد نبي الله لوط" ..

ولما استقرت الأحوال في مكة .. عاد إليها (عثمان)  
وزوجته وبقي المسلمين ثم هاجروا بعد ذلك إلى (يثرب) .  
ها هي في حيلة المسلمين قد استقرت في المدينة المنورة في  
وما هو ذا النبي يضع لهذا المجتمع أسساً وقواعد تضمن له

أمنه واستقراره فيؤاخذ بين المهاجرين والأنصار .. لكن  
كان لابد من وجود مصدر دائم وآمن من المياه العذبة ..

وكان سكان (يثرب) يشربون من بئر تسمى (بئر رومة)  
يمتلكها رجل يهودي .. ويبيع ماءها للناس ..

وتمنى النبي لو اشتراها أحد الأثرياء ووهبها  
للمسلمين ..

ويذكر (عثمان بن عفان) وسامع اليهودي الذي لم يوافق  
إلا على بيع نصفها بثمن باهظ ..

ويهب (ابن عفان) ماء البئر للناس دون مقابل في الأيام  
التي اتفق عليها مع اليهودي .. فكان المسلمون يشربون  
ويحتفظون بما يحتاجون إليه في اليوم التالي .. فجاء اليهودي  
إلى (عثمان) وقد رأى أنه لا يبيع ماء في الأيام المخصصة  
له .. وقال لعثمان :

.. أفسدت على البئر .. اشتر النصف الآخر ..

ويشترى (عثمان) باقي البئر ويتركها سبيلا للمسلمين ..  
فكان من الضروري أن يبنى المسلمون لهم مسجداً بعد أن

استقر بهم المقام في (المدينة) .. ويتعاون الصحابة ومنهم  
النبي الكريم وينتجون مسجدا كان يكفيهم وقتها .. ويدخل  
الناس في دين الله أفواجا .. ويضيق بهم المسجد .. ويتمنى  
رسول الله أن يضم أرضا مجاورة فيضيفها إلى مساحة  
المسجد ..

ويسارع (عثمان بن عفان) فيلعب عن الأرض ويهبها  
للمسجد ..

فتح الله (مكة) أمام المسلمين .. فتحا مينا .. وتوالى إسلام  
القبائل في شبه الجزيرة العربية ، ودانت كلها للدين  
الجديد ، وآمنت بمحمد نبيا حتى وصل نفوذ الإسلام إلى  
حدود دولة الروم في الشام ..

وتصل الأنبياء يوما إلى مدينة رسول الله أن جيوش الروم  
تقتصد لغزو حدود العرب الشمالية ..

كان هذا في صيف العام التاسع الهجري ..

وكان عاما جافا جدبا .. لم تجد فيه السماء مطرا أو

هبتو ..

وكان السفر إلى بلاد الشام طويلا ويحتاج إلى مؤن  
وعتاد .. ومبى المسلمون يتبرعون .. كل بما يملك .. المرأة  
بجليها والرجل بذابته وسلاحه .. وذوو المال بمالهم ..

لكن .. هل يكفي هذا لإعداد جيش يقابل جحافل  
الروم ؟؟

لقد خرج فقراء المسلمين يريدون القتال .. إما النصر  
وإما الشهادة .. لكن كيف ؟

وأطلق النبي عليه السلام صيحته :

— "من يجهز هؤلاء ويغفر الله له ؟" ..

ويسارع (عثمان بن عفان) ويلى ندادة الرسول ويجهز  
الجيش كله .. (تسعمائة وأربعين بعيرا ، وستين فرسا أتم  
بها الألف) .

ثم جاء عثمان إلى النبي بعشرة آلاف دينار بمعمل  
الرسول ﷺ بقلبيها بيده ويقول :

— "غفر الله لك يا عثمان ما أسرت وما أعلنت ، وما



هو كائن إلى يوم القيامة .

كانت خلافة (أبي بكر الصديق) .

وأصيب المدينة قحط وجفاف .

وما هي في قافلة (عثمان بن عفان) قد علت من الشام

تحمّل القمح والحبوب والزيت والثياب .

ويهرع التجار إلى (عثمان) يسأومونه على شراء قافلته .

سأل عثمان : كم ترمحونني ؟

قالوا : الدرهم درهمين .

قال : أعطيت زيادة .

قالوا : أربعة دراهم .

قال : أعطيت أكثر .

قالوا : نرملك خسة .

قال : أعطيت أكثر .

وتعجب التجار .. فليس قس المديون غيرهم .. فمن ذا

الذي أعطاك أكثر ؟

قال (عثمان بن عفان) :

"إن الله أعطاني بكل درهم عشرة .. فهل تزيدون ؟"

وأعطني على مسمع ومرأى من الناس :

- إني أشهد الله أنني جعلت ما حملت هذه النعير صدقة لله

على المساكين وفقراء المسلمين ..

هذا هو (عثمان بن عفان) رجل الجود والعطاء غير

المحدود وفوق هذا الجود والسحابة كان (عثمان) مثالا

للحياء ..

وكتيرا ما أشاد النبي عليه السلام بحياء (عثمان) وعن

عليه السلام أنه قال :

"أرحم أمي أبو بكر ... وأشدّها في دين الله عمر ...

وأشدّها حياء عثمان" ..

يُروى عن (عائشة) أم المؤمنين أنها قالت :

(استأذن أبو بكر) يوماً في الدخول على النبي وكما

مضطجعاً فلئن له وتحدث مع النبي ثم انصرف .  
ثم استأذن (عمر) .. ومكث وقتاً مع النبي ثم مضى .  
ثم استأذن (عثمان) .. فتهيأ الرسول لمقدمه بعد أن كان  
مضطجعاً وأسل جلمايه فوق شاقبه قبل أن يدخل عليه  
(عثمان) .

ولما سأله السيدة (عائشة) : يا رسول الله - لم أرك تهيأت  
(لأبي بكر) أو (لعمر) كما تهيأت (لعثمان) ؟  
فأجابها الرسول :

"إن عثمان رجل حيي ، ولو أذلت له وأنا مضطجع  
لاستحيا أن يدخل ولرجع دون أن ألقى له الحاجة التي جاء  
من أجلها .

يا عائشة .. ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟

بعد دخول (عثمان) بن عفان فسي دين الإسلام زوجته  
النبي عليه السلام ابنته (رقية) .. فلما توفلها الله زوجه من  
ابنته الثانية (أم كلثوم) .. وماتت أم كلثوم .. وتجاوز النبي

أحزانه بعد فقد ابنتيه وترجه إلى (عثمان) بالقول

"لو أن لنا ثلاثة لزوجناك إياها" ..

لهذا سُمي (عثمان بن عفان) (بلى النورين) حيث

اقترن باثنتين من بنات النبي عليه السلام .

مات أمير المؤمنين (عمرُ بن الخطاب) متأثراً بجراحه بعد

أن تلقى الطعنات الفائرة من الجوسى (أبو لؤلؤة) ..

واجتمع مجلس الشورى المكون من الصحابة الستة الذين

مات النبي عليه السلام وهو راض عنهم ليختاروا من

بينهم خليفة للمسلمين .

ويقع الاختيار على فى النورين (عثمان بن عفان)

ليتحمل مسئولية الخلافة وقد ناهز عمره سبعين عاماً .

فكيف استقبلها شيخ الجود والحياء ؟ .

قال فى خطبة البيعة :

"إن الدنيا طويت على الغرور

فلا تغرنكم الحية الدنيا .. ولا يفرنكم بالله الغرور"

فهل يخشى القُرُوز رجلٌ في مثل أخلاقِ (عثمان) ؟

وتتحرك الفتنةُ في طول البلاد وعرضها .. فقد ظن  
المُتريصون أن وفاة (عمر بن الخطَّاب) تعني ضعف الدولة  
وتفكك أوصالها كما رأوا في الخليفة الجديد (عثمان بن  
عفَّان) رجلاً جاوز السبعين معروفاً عنه الحيلة ورقة  
الخصال ، فلزَّذات أطماعهم .

لكن (ابن عفَّان) أثبت لمُؤلَّاء أن دولة الإسلام لمَّزالت  
على عهدهما من القوة والفتوة .. فارسل حملاته إلى  
أذربيجان وأرمينية والإسكندرية وفلسطين وغيرها ، ولم  
تقتصر مهمَّة هذه الحملات على إطفاء نار الفتنة والقضاء  
على الحركات الانفصالية فقط .. بل مضت أغلبها تؤمِّن  
حدود الدولة .. بل الإمبراطورية الإسلامية .. وتُوغل في  
توسعاتها لتمنع تكرار مثل هذه المناوشات في المستقبل .

ومُجابهة الأسطول البحري للرومان .. أمر الخليفة (عثمان  
بن عفَّان) بإعداد أسطول بحري لأول مرة .. استطاع أن  
يحقق انتصاراً باهرًا في موقعة (ذات الصَّواري) ..

وهكذا شهد عصر عثمان مولد البحرية الإسلامية .

هل نذكر اليوم صاحب الفضل في هذه الوحدة التي لا تشوبها شائبة في النص القرآني على امتداد العالم الإسلامي .

هل يذكر أحد من الذي جمع نُسخ المصحف الشريف المختلفة ثم أمر بكتابة مصحف واحد صحيح يقوم بمراجعته وتحقيقه مجموعة من الصحابة حفظة كتاب الله ؟ .  
وهل نذكر صاحب الأمر بكتابة نسخ متعددة تطابق هذه النسخة الموثقة لتوزيعها على كل أجزاء الدولة الإسلامية فيتوحد فيما بينها النص القرآني كتابةً ونطقاً ؟  
إنه أمير المؤمنين عثمان بن عفان الذي ألقاه ما علم من اختلاف بين الشعوب الإسلامية في قراءتها للقرآن الكريم .

وكان هذا الإحراز الخالد الذي تنطق به كل نسخة نقرأ فيها اليوم من المصحف الشريف والذي عرفه (بمصحف عثمان) .

ونخفي سنوات حكم (في التورين) . هذا الصحابي

الجليل والخليفة العظيم لتزيد على عشر سنوات تسجل له  
الجزء بعد آخر وانتصاراً تلو آخر ..

إلا أن الفتن والدماس كانت قد أخذت مكانها في هذه  
الدولة الواسعة .. وطرحته على ساحل الحكم مجموعة من  
الخلافت التي انتهت بأن حاصر بعض الفوغاه بيت  
(عثمان) لعنة أيام .. إلى أن قتلوه ..

وصعدت روح الصحابي الجليل .. رمز الجود والعطاء  
والبطل والحياء .. صعدت روحه إلى بارئها .. ليسكن  
(عثمان ابن عفان) جنة الخلد مع الصديقين والشهداء فقد  
كان رضى الله عنه من {وَأْمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ الْقُوا  
وَأْمَنُوا ثُمَّ الْقُوا وَأَحْسَنُوا} [المائدة : 93] صديق الله العظيم .